

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

القيم الدينية والاجتماعية في شعر علي بن حمية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

إشراف الدكتور:
علي زيتونة مسعود

إعداد الطالبتين:
✓ عبير معوش
✓ سميرة وكواك

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/06/11
أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اللجنة
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر	أستاذ محاضر	أمينة تجاني
مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر	أستاذ محاضر	علي زيتونة مسعود
ممتحنا	جامعة الشهيد حمه لخضر	أستاذ دكتور	حمزة حمادة

الموسم الدراسي: 1443/1444هـ - 2022/2023م



قال الله تعالى:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

والمؤمنون﴾

التوبة [105]

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد والنجاح إلى الوالدين الكريمين
حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي
لكل العائلة الكريمة التي ساعدتنا ولا تزال؛ إخوتي وأخواتي
إلى كل أصدقاء المشوار الدراسي حفظهم الله ورعاهم ووفقهم في حياتهم الدراسية
والعملية: قسم الأدب الشعبي
إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات
إلى كل من لهم أثر في حياتي زوجي العزيز
أولادي قرة عيني
إلى كل هؤلاء اهدي هذا العمل أسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم

عبدالله
عبدالله



شكرًا واحترافًا للسيدتين

الحمد لله رب العالمين على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث العلمي فبعد إنجازنا
لدراستنا لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر والامتنان للمشرف:
الدكتور علي زيتونة مسعود
الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وقدم لنا نصائحه وتوجيهاته
والدكتورة: أمينة تجاني
التي قدمت لنا النصح والإرشاد طيلة فترة إعداد المذكرة
فلهما كل الشكر والتقدير
كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذة جامعة حمه لخضر عامة
وأساتذة كلية الآداب واللغات وقسم اللغة العربية
كما نتفضل بجزيل الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد وأفادنا ولو
بحرف أو كلمة أو دعاء ونخص بالذكر الدكتور (السعيد قبنة والدكتور
محمد حناي)



مقدمة

يعيش الإنسان في هذه الحياة وفق قيم معينة يطبقها أو يسعى للوصول إليها، والقيم هي نوع من أنواع المحددات أو الغايات، وتمثل القيم الإسلامية والدينية الجانب الروحي للحضارة الإسلامية، والتي بفضلها ضمنت صمودها وبقائها في وجه المتغيرات والمستجدات وخاصة في هذا العصر؛ عصر العولمة.

فالحضارة الإسلامية تعتبر من أكثر الحضارات التي أوفت الأخلاق حقها؛ لأنها الأساس في الدين لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وكما أن القيم الدينية تساهم في بناء شخصية المسلم وتحافظ عليه من التيارات الهدامة المترتبة بالمسلمين، فإن القيم الاجتماعية تعمل على تماسك المجتمع وتدعم وحدته واستقراره تربط أفراد بعضهم البعض، وبتقافتهم وهويتهم حتى لا يضيعوا وتذهب ريحهم.

وقد ساهم الشعر الشعبي عامة والصوفي خاصة في ترسيخ هاته القيم من خلال شعرائه الذين شاركوا مجتمعاتهم همومهم وعاشوا آمالهم، وعبروا عنها بشعر صادق فيّاض؛ تداولته ألسنتهم في مجالسهم ولقاءاتهم، ثم صدحت به الأصوات مترنمة، منتشية جمال ألفاظه، وروحانية معانيه وخاصة في مجالس السماع الصوفي؛ فانعكست أخلاقا حميدة وسلوكات حسنة يتمثلها الفرد في مجتمعه؛ صغيرا وكبيرا.

ولكل ما قدمه الشعر الشعبي الصوفي للمجتمعات من قيم ومثل وأخلاق وسلوك حسن جاءت فكرة البحث لتغوص في بحره وتستكشف درره ومكوناته، فوسمناها بـ

"القيم الدينية والاجتماعية في شعر علي بن حمية".

أسباب عدة دفعتنا لاختيار هذا البحث، من ذلك:

حضور الشعر الشعبي الصوفي حضورا بارزا في منطقة وادي سوف.

الرغبة في إبراز المنهج الصوفي باعتباره منهجا تربويا يرتكز على مكارم الأخلاق، وذلك من خلال شعرائه وما قدموه للمساهمة في ترسيخ الجانب القيمي للمجتمع.

قلة وجود دراسات عن هذه الشخصية الشاعرة، فأردنا إبراز هذه الشخصية المغمورة وإظهار أشعارها.

الجمالية التي يتميز بها الشعر الصوفي؛ فصيحاً كان أم شعبياً، وتتجلى هذه الجمالية في عذوبة اللفظ ورقة المعنى ونبيل الغاية وسمو الهدف؛ إذ تجد فيه تربية على الأخلاق والقيم غير ظاهرة للعيان.

وانطلقت فكرة البحث من إشكالية رئيسة، مفادها:

إلى أي مدى ساهم شعر علي بن حمية في ترسيخ القيم الدينية والاجتماعية في المجتمع؟

وتفرعت عنها مجموعة من التساؤلات، أبرزها:

✓ ما المقصود بالشعر الشعبي الصوفي؟

✓ من هو علي بن حمية؟

✓ ما هي أبرز القيم الموجودة في شعر علي بن حمية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية خضنا غمار البحث متسلحين بالمنهج الوصفي التحليلي المناسب لدراسة قصائد الديوان واستخراج ما فيها من قيم وتحليلها.

وحتى يكون البحث في أبهى حلة وأجمل صورة، وضعنا خطة تتكون من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، مفصلة كالاتي:

المدخل موسوم بـ "مفاهيم أولية" وتناولنا فيه الطريقة التجانية؛ مفهومها وأسسها، والشاعر علي بن حمية؛ حياته وديوانه، بالإضافة إلى الشعر الصوفي الشعبي.

الفصل الأول وعنوانه بـ "القيم الدينية في ديوان علي بن حمية" وتطرقنا فيه إلى التعريف بالقيم وأنواعها، لا سيما القيم الدينية والروحية، ومن ثمة استخراجها من القصائد وتحليلها لإبراز ما تدعو إليه.

الفصل الثاني ومعنون بـ "القيم الاجتماعية في ديوان علي بن حمية" وأفردناه للقيم الاجتماعية، فقدمنا تعريفاً لها مبينين أنواعها، ثم استخرجناها من الديوان مبرزين أهم ما تسعى إليه.

وخاتمة تضمنت نتائج البحث وخلاصته.

وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع من أجل إتمام بحثنا، نذكر منها:
ديوان علي بن حمية، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية لنورهان فهمي،
الخطاب الشعري الشفاهي للسعيد قبنة، وغيرها.

وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات، ومما واجهنا أثناء إنجاز بحثنا:
عدم وجود معلومات كثيرة عن شخصية الشاعر.

عدم فهم بعض الألفاظ العامية القديمة والتي لم تعد متداولة في منطقة وادي سوف.
استغلاق النص في بعض الأحيان لأنه يتناول معاني روحية تتطلب الرجوع إلى كتب
التصوف والطريقة التجانية.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في هذا الجهد المتواضع، والذي قد يكون بداية
لأبحاث قادمة أكثر أهمية وفائدة، ولا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من أعاننا
من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف: الدكتور علي
زيتونة مسعود الذي لم يبخل علينا بإرشاداته ونصائحه وتوجيهاته طيلة مسيرة هذا البحث،
فله منا ألف شكر وتحية.

كما لا ننسى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين تحملوا عناء قراءة البحث من أجل
تصويبه حتى يخرج في أحلى حلة، فلهم منا كل الشكر والعرفان.

وإن أصبنا فمن فضل الله علينا، وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا اجتهدنا.

والله من وراء القصد.

مدخل

تعريفات ومفاهيم

الطريقة التجانية

تعريفها

مؤسسها

أسسها

التعريف بالشاعر

حياته

ديوانه

الشعر الصوفي

تمهيد

لا يزال الشعر الشعبي أو الملحون أو الشعر العامي أو الشفاهي كما يسميه الباحث أحمد زغب يستمد عنوانه وامتداده الاجتماعي في وسط الجماعة الشعبية باعتباره الأقرب إلى وجدانها فهو المعبر عن آلامها وانفعالاتها، ومشاعرها الصادقة نحو القضايا الراهنة التي تشغل بالها وتحقق لها ما تريد ولا سيما إذا ما تعلق الأمر بطقوس التقوية كما هو الشأن عند الجماعات والكيانات الصوفية التي تتخذ من التصوف منهجا للتركية في حياتها ومنها الجماعة الشعبية (التجانية).

ويحظى (المداح)؛ الناظم لهذه الأشعار أو المؤدي لها عند هذه الجماعة مكانة مرموقة في المجتمع التجاني لأن المدح أساس السماع الصوفي وركيزة من ركائز التربية الروحية، وقد عرفت الطريقة التجانية الكثير من الشعراء وخاصة بمنطقة وادي سوف، من بينهم شاعرنا الذي سلطنا عليه الضوء للدراسة؛ علي بن حمية فهو مداح تجاني ينظم المدح ويؤديه.

وفي هذا الجزء من البحث سنتناول حياته وديوانه ببعض التفصيل.

المبحث الأول: الطريقة التجانية

المطلب الأول: التعريف بها وبمؤسسها

إن الشاعر علي بن حمية (مدّاح) تجاني، وهذا يبرز منهجه وانتماؤه، فهو أحد مريدي الطريقة التجانية، ولهذا سنعرض لمعنى الطريقة ومنهجها مع ذكر شيخها المؤسس.

1- تعريفها:

أ- لغة:

الطريقة في اللغة تعني الطَّرِيقُ والسَّبِيلُ¹، أي الطريق المستقيم الواضح، والسَّبِيل الموصِل إلى الله - عز وجل - والمنهج المتَّبَع في ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾².

ب- اصطلاحاً:

في الاصطلاح الطريقة الصوفية هي "عبارة عن رابطة روحية تضم أفراداً وجماعات من النَّاس تحت قيادة واحدة، يسمعون لهذه القيادة ويطيعونها في المنشط والمكروه. وهي أيضاً رابطة روحية قويّة، وطاقة نفسية صلبة، تنظم أفراداً من الأتباع في سلك واحد وتحت قيادة مسموعة ومتبوعة، وكانت الطريقة تعمل عمل الجمعيات الخيرية الحديثة في السّلم، وتعمل عمل الجيش الإسلامي في الحرب، وقد كانت الزّوايا التي تتمركز فيها أصحاب الطّرق تقوم مقام الملاجئ للفقراء والمحتاجين، وتقوم مقام المعاهد والمدارس لطلبة النّقافة من القرآن والحديث والفقه والأخلاق، وتقوم مقام المساجد يذكر فيه اسم الله كثيراً"³.

وأما الطريقة التجانية فتعرّف بأنّها "منهج سلوكي أو منهجية لبلوغ مقصد معيّن. وبالمفهوم الصّوفي، هي تصوّر تطبيقي للحياة الرّوحية يسعى إلى الرّبط التّوافقي بين الحقيقة والشرّيعَة في سبيل التّقرب إلى الله تعالى، وذلك ابتغاء تحسين المعرفة بالله لأجل المزيد من

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، مج 10، ص 220.

² سورة يوسف، الآية 108.

³ أمينة تجاني، الطريقة التجانية "النشأة والخصوصية الأنثروبولوجية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والأنثروبولوجية، جامعة سيدي بلعباس، ع1، جوان 2021، ص136.

الإقبال على عبادته¹، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾².

كما تعرّف بأنها طريقة سنيّة صوفيّة تمثّل منهاجاً سلوكياً من المناهج الإسلاميّة التي ظهرت إبّان القرن الثامن عشر على يد الشّيخ أحمد التّجاني، ويقوم هذا المنهج على الكتاب والسنة، ويهدف أساساً إلى تركية النفس وتهذيبها، والعمل الصّالح وتقوية الإيمان بالنّقرب إلى المولى - عزّ وجل -³.

إنّ الطّريقة التّجانيّة هي المدرسة الرّوحية التي أسسها الشّيخ أحمد التّجاني، مدرسة تربويّة؛ فكريّاً وروحياً وأخلاقياً وإنسانيّاً، تخرّج منها العديد من الرّجال الذين ساهموا في بناء مجتمعاتهم في العديد من الأمصار.

2- مؤسّسها:

هو الشّيخ أحمد التّجاني "أبو العباس أحمد بن مَحْمَد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم، ولد سنة (1150 هـ، 1737م) بقرية عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر، حفظ القرآن العظيم في السابعة من عمره، وما بلغ الخامسة عشر من عمره حتّى أتمّ الدراسة بعين ماضي، حيث قرأ مختصر الشّيخ خليل والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومقدمة ابن رشد كما تحصّل على كل ما يلزمه من علم النحو واللغة⁴.

ثمّ مال إلى طريق الصوفية فأخذ العلم عن كبار علماء فاس كالشّيخ الدّقّاق والشّيخ السجلّماسي، وعلماء مصر مثل الشّيخ محمود الكردي، وعلماء الحجاز كالشّيخ أحمد بن عبد الله الهندي في مكة، والشّيخ السّمّان في المدينة المنورة إلى أن تصدر للتّدرّيس وأسس طريقته، درّس في الأبيض سيدي الشّيخ والجامع الكبير بتلمسان، وفي جامع الزّيتونة بتونس.

¹ المرجع السابق، ص 137.

² سورة العنكبوت، الآية 69.

³ المرجع السابق، ص 08.

⁴ الحاج علي حراز، جواهر المعاني في فيض أبي العباس سيدي أحمد التّجاني، تح: محمد الرازي كنون، دار الرّشاد، المغرب، ط1، 2011، ج1، ص 96، 97.

ثم رحل الشيخ إلى فاس مدينة العلم والعلماء سنة 1798م، وبقي فيها يدرّس ويفتي ويربي وقد أقبل عليه الناس من كلّ جهة يأخذون عنه العلم والتربية ويعتقون طريقته التي بدأت في الانتشار شيئاً فشيئاً، إلى أن وافته المنية سنة 1230هـ، 1815م¹.

المطلب الثاني: أسسها

إنّ مقام الإحسان يتطلّب تطبيق الأوامر المطلوبة شرعاً، وترك المحظورات والمنهيات والمحرمات شرعاً، وهذا هو مربط الفرس في الطريقة التجانية؛ تحقيق الاستقامة وتجسيد قيم الوسطية في الحياة اليومية. وقد حدّد الشيخ أحمد التجاني أسس منهجه الصوفي من خلال تعريفه للتصوّف²، وعليه فأسس الطريقة التجانية هي:

1- امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر: (مقام الإسلام)

وهذا يعني العلم بالشريعة واتّباع الصّراط المستقيم الذي يمثّل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها، وفي آيتي الفاتحة دليل قاطع على ذلك، فهو طريق العبوديّة، طريق الخوف والرضا والحب، وامتثال المأمور واجتناب المحذور، ومتابعة الكتاب والسنة والعمل بطاعة الله. فالأساس الأوّل يركّز على القيام بحقوق الدّين وواجباته، والالتزام بحدود الله³.

2- امتثال الأمر واجتناب النهي في الباطن: (مقام الإيمان)

والمقصود به العمل بالشريعة في الباطن أمام الرّقيب - الله عز وجل - في كل قول وعمل، فتقيّد العبد داخلياً بضوابط ومعايير الشرع يودّي حتماً إلى ظهور السلوك المتّزن الوسطي البعيد عن الانحراف والتجاوز. فالسلوك الصوفي يُبنى على أساس اتّباع الحق الثّابت والانقياد بقانون الشريعة داخلياً وخارجياً⁴.

¹ المرجع السابق، ج1، ص 96.

² ينظر: أمينة تجاني، الطريقة التجانية، ص143.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص143.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص143.

3- من حيث يرضى لا من حيث ترضى: (مقام الإحسان)

وبعني عبادة الله تعالى وإرضائه على الدوام، فالمقياس الحقيقي لتحديد الوسطية والخيرية هو الشرع وليس هوى الناس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه لأن مفهوم الوسطية عند كثير من الناس تعني التساهل أو التنازل، بل والمداهنة أحيانا حيث يختارون الأمر بين الخير والشر وهو إلى الشر أقرب في حقيقته ومآله، لأنه وجد هوى في أنفسهم¹.

وهذا لا يتناسب مع المنهج الصوفي التجاني الذي يدعو إلى التزام الحق في كل شيء وتجنب الباطل في كل شيء، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني: "وَصُونُوا قُلُوبَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا فَعَلَ حَقًّا يُخَالِفُ هَوَاكُمْ، أَوْ هَدَمَ بَاطِلًا يُخَالِفُ هَوَاكُمْ أَنْ تُبْغِضُوهُ أَوْ تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنَ الشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"².

ومما سبق ذكره نجد أن أسس المنهج الصوفي الذي حدده الشيخ أحمد التجاني لنفسه ولكل من انتهج نهجه هو الدين بجميع مقاماته؛ الإسلام والإيمان والإحسان؛ إذ لا بد من معرفة شرع الله عز وجل وحدوده؛ حلاله وحرامه. ثم العمل به وتطبيقه ظاهرا وباطنا في الحياة اليومية من أجل الوصول إلى مرضاة الله عز وجل، وفي ذلك يقول الشيخ: "وَلْيَكُنْ سَعْيُهُ فِي ذَلِكَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا لِحَظٍّ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ..."³.

إن هذه الأسس هي التي تربي عليها أتباع الطريقة التجانية، ومن بينهم الشاعر الذي تمثلها في شعره ليحث أفراد المجتمع بكل فئاته على الالتزام بالقيم الوسطية والمعايير الأخلاقية والحدود الشرعية المضبوطة، فتتجلى في اتصافه بالأخلاق الحميدة، وتجسيدها في الحياة اليومية، وبذلك "تحول الفرد إلى ساع في الأرض ينشد السلوك السوي ويتوحي الصرامة في احترام القيم والمثل الدينية التي يؤمن بها والتي تصنع ضميره وتحرك أفعاله"⁴.

¹ المرجع السابق، ص 143.

² الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج 2، ص 759.

³ المرجع نفسه، ج 2، ص 756.

⁴ أمينة تجاني، الطريقة التجانية، ص 143.

المبحث الثاني: الشاعر والشعر الصوفي

المطلب الأول: الشاعر علي بن حمية

1- حياته ونسبه:

هو "علي بن حمية، ولقبه عقاب، ولد خلال 1896 م بوادي سوف، عاش يتيم الأب مكفولاً من قبل أعمامه، وترعرع بالصحراء الشرقية المحاذية للجنوب التونسي، ولم يتعلم القراءة ولا الكتابة نظراً للطابع البدوي الذي كان يعيش عليه أهله وعشيرته آنذاك. ولما كبر وشب اشتغل برعي الإبل فكانت هذه مهنته ومصدر معاشه مدة من الزمن حتى تزوج وصار صاحب بيت كغيره من الرجال.

وقد اتصف الشاعر بعدة صفات حميدة، حيث كان شديد الحياء، لين المعاملة، سهل المخالطة، ذو أخلاق حميدة، مسالماً طيلة حياته، نطق بالشعر عن طريق الحدس والبديهة، فمدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشيوخ الطريقة التجانية... واشتهر بشعره عند أهل سوف والطيبات والجنوب التونسي¹.

وقد كان لا يعرف القراءة والكتابة، دائم السكوت ولا يستطيع الإتيان بجملة أو جملتين بشكل صحيح، ولكن إذا نظم الشعر ونطق به مادحا أذهل السامعين. توفي في شهر نوفمبر من سنة 1966م، بقرية الفطاحزة ببلدية البياضة، بولاية الوادي ودفن بمقبرة الحاج البكري².

2- ديوانه

نال الأدب الصوفي؛ فصيحاً وشعبياً اهتمام الكثير من الباحثين قديماً وحديثاً، وذلك لما له من قيم فاضلة وذوق رفيع وإرهاف حس، وسمو الهدف والغاية. يحتوي الديوان على 50 قصيدة توزعت على أكثر من 144 صفحة شملت مواضيعها كل ما يتعلق بالدين والإسلام والشريعة ومدح الرسول الكريم وذكر خصاله.

¹ علي بن حمّة، الديوان، مخطوط، ص (و بالمقدمة).

² المصدر نفسه، ص (هـ بالمقدمة)

كانت قصائده عذبة جذابة، خالية من الفحش وكل أنواع الذم والهجاء، يغلب عليها الأسلوب الخبري. ونظرا لأسلوبه الديني، وكلامه الطيب الداعي للأخلاق الرفيعة والقيم السمحاء أحبها الناس وخاصة المجتمع التجاني الذي كان أفرادها يتغنون بها في المناسبات الدينية واللقاءات الروحية ومجالس السماع الصوفي.

وكان شعره يمتاز بالجزالة والرصانة والعمق الإنساني والديني والاجتماعي، والبعد عن الصغائر وسفاسف الأمور، بالرغم من كونه رجلا أميًا، قضى معظم شبابه في البادية مع الرعي ولم تتح له فرصة التعلم كغيره من الشعراء، إلا أنه كان تواقا إلى المعالي وذا همة سابقة في البحث عن الحقيقة والرفقة الصالحة ما جعله يعثر عليها عند مشايخ الطريقة التجانية، فالتربية الروحية التجانية ساهمت في صقل موهبته الشعرية وتهذيبها¹.

وقد تنوعت مواضيعه، من ذلك: الحب الإلهي، مدح المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وذكر شمائله وفضائله التي خصه الله بها، مدح مشايخ الطريقة التجانية، وذكر أذكار الطريقة التجانية وغيرها. كما تناول بعض المواضيع التي تناولها الصوفية في أشعارهم، من ذلك: خلق الإنسان، البعث، يوم القيامة، الجزاء والحساب، نعيم الجنة، التحذير من النار، التوبة، النصيح، الإرشاد... وما يميز قصائده الاستهلال والاختتام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي سمة وسمت الشعر الديني الجزائري بصفة عامة.

المطلب الثاني: الشعر الصوفي

1- تعريفه:

يعد الشعر الصوفي واحدا من فنون الأدب التي ظهرت في العصور الإسلامية، وقد تطور تطورا كبيرا مستفيدا من التراث الشعري الذي سبقه وحاكى أغراض مختلفة مضافا إليها مميزاته ونكهته الخاصة².

¹ الديوان، ص (و).

² ينظر: محمد بن عمارة، الاثر الصوفي في الشعر العربي معاصر، شركة مدارس نشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 108.

فالقارئ المتمعن فيه يجد أن لغة التصوف في جمالياتها المميزة لها تخلق وحدة فنية، ومن ثمة فكرية ترتفع بالمشاعر، وهي تعبر عن تجربة عرفانية فريدة تكشف عن وعي مرهف وحس وثاب، قائمة على قصيدة مفتوحة على تصور شديد الخصوصية. وبشكل عام فإن الشعر الصوفي نص لغوي ودلالي خاص في الأدب العربي خرج بلغته إلى مستوى جديد ثري بالدلالات والإيحاءات ما سمح للباحثين والدارسين أن يتوجهوا إليه بالبحث مستعينين في ذلك بشتى المناهج والإجراءات التي تمكنهم من سبر أغواره¹.

2- الشعر الصوفي الشعبي:

هو شعر يختص بأدائه مجموعة من المنشدين المحترفين، ولا يستطيع أشخاص غيرهم روايته، فالمنشدون هم حملة هذا النوع من المأثورات وفي ذلك تصدق الإشارة إلى أن هناك بعض المأثورات التي تتصف بأنها قد تكون معرفة خاصة بمجموعة معينة، كما أن البعض الآخر قد يكون معرفة عامة ترددها جميع طبقات الشعب².

وإن كان المنشدون هم الرواة الأساسيون لهذا الشعر، فإنهم يقومون بدور مؤثر وفعال في سبيل الحفاظ عليه؛ سواء من حيث الحفاظ على النصوص وتداولها، أم من حيث تطويرهم لأساليب الأداء، فإنهم يعتمدون على مصدرين أساسيين؛ الأصل المطبوع (القصائد، الموشحات)، والأصل الشفاهي الخالص (المواويل والأزجال والأدوار). وبمعنى آخر تلك التي اتخذت شكلا ثابتا وحُفظت عن ظهر قلب من تناقلها الرواة، أو تلك التي تخضع لحرية النوع الثاني (المواويل والأدوار).

ويتحدد الشعر الصوفي الشعبي بمعايير ثلاث:

✓ التزامه الشكل الأدبي الشعبي قابلا لتعبير مثل الموال والزجل وغيرها وتوسله بالعامية على الرغم من أنه ينشد مع الشعر الصوفي الفصيح.

¹ بولعشار مرسل، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، 2014، 2015، ص أ.

² يان فانسيا، المأثورات الثقافية، تر: أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص 134.

- ✓ التزامه التعبير عن وجدان جماعة معينة من الصوفية هم الفقراء وهم جماعة من أتباع الصوفية يميلون الى الجانب العملي يبتعدون عن الجانب الفلسفي.
- ✓ اتخاذ المناسبات الشعبية مجالا للأداء، مثل: المولد النبوي الشريف وليالي الجمعة.
- ووفقا للمعايير السابقة فإن الشعر الصوفي الشعبي هو ذلك الشعر الذي يؤدي إنشادا في مجالس السماع الصوفية الشعبية.

3- الدلالة الشعبية لمصطلح (المدح):

إن لفظة (المدح) تطلق في الأوساط الشعبية، والمفرد منها (مَدْحَة) ويلقب من ينظمها (المداح) وقد تطلق على من يطرب الحضور بـ (مَدْحَات) مما يحفظ من (مدح) للشاعر الفلاني وأغلب الظن أن (المدح) خصوصية تجانية¹. ويعرفه الباحث (محمد الغالي نعيمي) المدح قائلا: "المدح هو ذكر أوصاف الممدوح المحمود والإشارة بها"².

وينظر (التجانيون) إلى المدح كمتعالية خطابية تسعى إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فهم عندهم فرصة لمراجعة الذات مما علق بها من دنس الحياة وتفسيرهم لهذا الخطاب يبني على آلية التداول والحجاج ويحفل (القاموس المدحي) عندهم بالكثير من المفردات والصيغ التي تشكل منها لغة خاصة ذات سياق شعبي أكثر عمقا مرونة³. وهي لغة خاصة لا يفهمه

خلاصة الفصل

في الأخير نستنتج يمكن القول إن الطريقة التجانية هي إحدى الطرق الصوفية التي انتشرت في العالم الإسلامي والتي أسسها الشيخ أحمد التجاني، وهي تقوم على أسس ثلاث؛ العلم (امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر)، العمل (امتثال الأمر واجتناب النهي في الباطن)، العبادة (إرضاء الله هو الغاية والهدف في كل قول وفعل).

¹ السعيد قبنة، الخطاب الشعري الشفاهي الصوفي البنية والدلالات، مطبعة الأمل المشرق، الجزائر، ط1، 2022، ص52

² محمد الغالي نعيمي، الزاوية التجانية بالمقرن، مطوية، الوادي، الجزائر، ص4.

³ المرجع السابق، ص64.

والشاعر علي بن حمية هو مداح تجاني نظم المدح (الشعر الصوفي الشعبي) وأداه في المواسم الروحية وخاصة في ذكرى المولد النبوي الشريف، وفي مجالس السماع الصوفي (مجالس الأمداح).

وقد تنوعت مواضيع ديوانه بين الحب الإلهي، مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومدح شيوخ الطريقة التجانية، وغيرها... كغيره من الشعراء الصوفيين، وقد تضمنت قصائده العديد من القيم الدينية والاجتماعية، وهي ما سنتطرق إليه في الفصول الموالية.

الفصل الأول

القيم الدينية في الديوان علي بن حمية

مفهوم القيم

أنواعها

أبرز القيم الدينية في الديوان

أبرز القيم الروحية في الديوان

تمهيد:

إن الإسلام دين شامل ومتكامل يشمل جميع نواحي الحياة البشرية، فهو يريد دائماً أن يبني مجتمعاً سامياً وسليماً ونبيلاً، فيغرس في أفرادهِ أخلاقاً حميدة وسلوكاً حسناً منذ نعومة أظفارهم لأنَّ القيم والأخلاق أصل كل شيء؛ فإذا فسدت انهار الإنسان وأصبح حيواناً مفترساً، وإذا نظرنا إلى بعض الأقوام الماضية في تاريخ البشر فإنهم هلكوا لأجل انحرافهم وفساد أخلاقهم.

وقد أشاد القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى انحطاط الأمم وهلاكها بسبب انعدام القيم فيها، حيث كان هلاك قوم نوح -عليه السلام- وقوم لوط -عليه السلام- لانحرافهم عن الأخلاق والقيم، فكل الأنبياء والرسل أرسلوا إلى أقوامهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور والهداية إلى سبيل الرشاد، وفي ذلك يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وفي هذا الجزء من البحث سنتناول قصائد علي بن حمية التي تحتوي على مجموعة القيم الدينية والتي سوف نبرزها وتعتبر منهاجاً سليماً يقتدى به.

المبحث الأول: ماهية القيم الدينية المطلب الأول: مفهوم القيم وأنواعها

1- مفهومها:

أ- لغة: جاء في لسان العرب "القيمة: ثمن الشيء بالتقويم، نقول: تقاوموه فيما بينهم وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه ... اعتدل والقوام بالكسر: نظام الأمر وعماده وملاكه الذي يقوم به، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه ... والقيم كمصدر يُقصد بها الاستقامة وفق أمر قيم مستقيم وخلق قيم حسن، ودين قيم مستقيم لا زيغ فيه، وكتب قيمة: مستقيمة تبين الحق من الباطل والقيم: السيد وسائس الأمر"¹.

وفي المعجم الوسيط "قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع ثمنه، فيقال: ما لفلان قيمة أي ما له ثبات أو دوام على الأمر، بمعنى القيمة تفيد الثبات والدوام على ذلك وعدم التبديل"². فهي تدور حول التقويم والاعتدال، والاستقامة وعدم الميل، والثبات والتحكم في الأمور، وقد وردت في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾³.

ب- اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً فكلمة قيمة لها معان متعددة ودلالات مختلفة تلمس الجانب الروحي والجانب المادي، وما له علاقة بالمحيط الاجتماعي؛ إذ يسعى الأفراد لتحقيق المنفعة وتحسين المصلحة ذلك أن القيم "هي جملة المقاصد التي يسعى القوم في الواقع غير السعي إلى تحقيق غايات معينة، وفق معايير موضوعية وممارسات عينية، في مقابل ردود فعل اجتماعية تبرز إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم عاجلاً أو آجلاً، أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم عاجلاً أو آجلاً"⁴.

¹ جمال الدين بن منظور لسان العرب، مج 11، ص 590.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، ط 2، 1979، ص 768

³ سورة الروم، الآية 30.

⁴ أسامة عبد الرحمن علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال، إثراء للنشر والتوزيع، مصر، دط، دت، ص 68

كما تعني جملة الأحكام والتفضيلات بين بدائل متاحة أو ممكنة تشيع الرغبات وتحقق الحاجات وفق معايير سلوك نالت الإجماع في المجتمع، ومنه فالقيم تجلي شعوري يليه إدراك معرفي، عقلي لما هو موجود كدعم وتعزيز أو رفض لهذا السلوك وتلك الأفعال في مواقف محددة. وهذا ما يكرس في المحصلة تقابل ما هو فردي وما هو جماعي، والمقبول والمرفوض¹.

وتعرف أيضا بأنها حكم يصدره الإنسان على الأشياء وينبع منه الاعتراض والاحتجاج على الوجود كما هو قائم ومفروض من سعي الإنسان لتحويل هذا الوجود وفق ما ينبغي أن يكون ولذلك فإن القيمة مفهوم له امتداد يطول مختلف مجالات نشاط الإنسان ويتعدد تبعا لفاعليته. وكذلك "الاعتقادات والاختيارات بالاستناد إلى مراجع تجريدية أو مبادئ، وإلى عادات سلوكية أو أنماط، وإلى غايات الحياة ... تعبر القيم عن أحكام أخلاقية، عن أوامر عن تفصيل عادات أنماط للسلوك، إننا نعتبر من قبيل القيم كل ما يهمنا بشكل أساسي تحقيقه، وكل ما يهب معنى لحياتنا².

ومنه نستنتج ان القيم هي جملة من القواعد والمبادئ التي نعتمدها للحكم على أمر ما سلبا أو إيجابا أي هي جملة من المعايير بواسطتها نزن الأشياء ونحكم عليها.

2- أنواعها: تتعدد القيم وتتنوع، من ذلك³:

أ- القيم الفكرية:

وهي القيم التي تنتج عن الاتجاهات العقلية أو الفلسفية لأفراد المجتمع، وينصب محور اهتمامها على البحث عن الحقائق وأسباب حدوثها بشكل تطبيقي منظم، وهي تشير إلى البحث عن الحقيقة من خلال التفكير والفهم والاستنتاج، لذلك لا يبذل الشخص الفكري أي

¹ عباس الجزائري، مفهوم القيم وفلسفتها وإشكالية الواقع وأمثال في منظور الإسلام، ندوة حول "أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة 2010، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص126.

² عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، الدوحة، قطر، ع27، 1999، ص36، 37.

³ ينظر: سمير العرج، دور التلفزيون في تشكيل القيم الجمالية لدى الشباب الجامعي الجزائري، دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خده الجزائر، ص 289.

مجهود لاقتناء أشياء يمكنه الحياة بدونها، لأن التركيز على الفوائد المادية من وجهة نظره يؤثر على صفاء الفكر، كذلك لا يهتم بالنواحي الجمالية لأن ذلك يتعارض مع قيم الرجل الفكري، وهي الموضوعية واستبعاد الإضافات والتحيز. ومن أهم القيم الفكرية؛ حرية التعبير عن الرأي، احترام إبداعات الآخرين، غرس الأخلاق الفاضلة، الانفتاح الثقافي، طرح آراء معتدلة تنبذ العدوان...

ب - القيم الجمالية:

إن القيم الجمالية في مفهومها العام تعني اهتمام الفرد وميوله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق، وهو بذلك ينظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير له من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي ولا يعني هذا أن الذين يمتازون بهذه القيم يكونون فنانين مبتكرين بل أن بعضهم لا يستطيع الإبداع الفني، وإن كان يتذوق نتائجه. ومن بينها: متابعة أخبار المعارض الفنية، الاهتمام بسير الفنانين والرسمين، شراء الأشياء الفنية المميزة، مشاهدة عادات وتقاليد الشعوب الأخرى...

ج - القيم الاقتصادية:

هي القيم التي تؤدي إلى اتجاهات اجتماعية عملية مع التركيز على تحقيق الجوانب والأهداف الاقتصادية، والعائد المادي، لذلك لا يعبأ الرجل الاقتصادي بالناحية الجمالية، إلا إذا كان الشيء الجميل مفيداً، وذو جدوى اقتصادية، فقد يشتري الرجل الاقتصادي لوحة فنية بملايين الدولارات ليس حبا في الفن أو تقديراً للجمال، ولكن رغبة في إعادة بيعها بسعر أكبر في وقت لاحق. ومن أهم القيم الاقتصادية: احترام حقوق الملكية للآخرين وعدم التعدي عليها، ترشيد الاستهلاك، الاستغلال الأمثل للثروات...

د - القيم الدينية:

من الطبيعي أن تنصدر هذه القيم قائمة القيم الإيجابية، ففي هذه القيم مبادئ وأحكام أخلاقية بالغة الأثر في تفادي كثير من القيم السلبية فالخلق والسلوك الذي تدعوا إليه الأديان قائم على المودة والتراحم التعاون والتكافل ورعاية الفقير والمسكين) وأن يكون أساس التعامل

قائماً على الصدق والأمانة والوفاء بالعهد. ومن بين القيم الدينية: العدل، التسامح، التضامن، الوفاء بالعهد، احترام الآخرين، كف الأذى، الصدق، الكرم، فعل الخير، الدفاع عن المقدسات الدينية...

هـ - القيم السياسية:

هي التي تهتم بمظاهر القوة والنفوذ في المجتمع سواء على مستوى الفرد أم الجماعة، والرجل السياسي يبحث على تحقيق ذاته واستقلاليتها دائماً، كما أن تعطشه للقوة يجعله لا يقدم على تقديم تضحيات من أجل الآخرين. ومن أهم القيم السياسية: الانتماء لمذهب سياسي معين، احترام الزعماء السياسيين، حب الوطن والدفاع عنه، الإلمام بالأحداث والتطورات السياسية في العالم، قبول أصحاب المذاهب السياسية المعارضة...

المطلب الثاني: القيم الدينية

هي تلك "المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة، ويمثلها ويلتزم بها الإنسان المسلم، ومن ثمة تتحدد في ضوئها علاقته بربه، واتجاهه نحو حياته في الآخرة كما يتحدد موقفه من بيئته الإنسانية والمادية" وهي "معايير يتقبلها ويلتزم بها المجتمع المسلم وأعضاؤه من الأفراد المسلمين وهي تشكل وجدانهم وتوجه سلوكهم مدى حياتهم"¹.

ويرى جابر قميحة أن القيم الدينية هي "الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"².

من خلال التعاريف السابقة للقيم الدينية يتضح لنا بأنها مجموعة من المعتقدات والمبادئ والمعايير التي توجه سلوك الأفراد وعلاقاتهم كما أنها المكون الأساسي للعلاقات الدينية والاجتماعية في المجتمع، والقوة الدافعة نحو المحافظة عليه، وتشمل؛ الإيمان، الصلاة، العبادات، أركان الإسلام، الحج، الصوم...

¹ نورهان فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999، ص 68.

² جابر قميحة، مدخل للقيم الإسلامية، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1971، ص40

المبحث الثاني: أبرز القيم الدينية والروحية في الديوان

تأتي قصائد علي بن حمية التي تحمل على مجموعة القيم الدينية والتي سوف نبرزها وتعتبر منهاجاً سليماً يقتدى به نذكر أهمها:

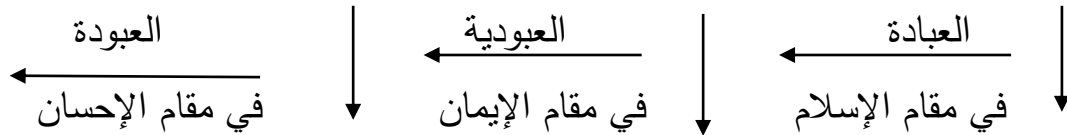
المطلب الأول: القيم الدينية في الديوان

1- أفراد العبودية لله تعالى (التوحيد):

عبر الشاعر عن توحيده الخالص لله - عز وجل - بقوله:

نعبد اللي صنعني ونشاني	وصنع آدم من طين صلصاله
هو صاحب الفضل والإحسان	الهبة لغير ربي بطالة
بالنبي والشيخ أعطاني	من يطلب مقصود يناله ¹

توجد في هذه الأبيات قيمة العبودية لله تعالى وهو يعترف له بذلك، حيث قال: "نعبد اللي صنعني ونشاني"، أي من أنشأني وأنشأ الخلق والوجود، وعند ذكر الإحسان؛ يقصد مقام العبودية في هذا المقام لأن العبودية لله وعند الصوفية تنقسم إلى ثلاث مراتب، وهي:



فهو يحث من يستمع إليه بالتوجه إلى الله تعالى لأن الهروب لغيره شرك. كما يقول في قصيدة (باسم الله بديت نمجد):

واللي يعبد يعبد الله	هو إلي يأتي بثمار الغلة
لا تمش وصف يمثله	في جميع الذوات
أنواره على النبي تتجلى	بالوحي والآيات ²

يحث المداح مستمعيه على عباده الله تعالى لأنه هو من يأتي بكل الخيرات، ثم نبههم إلى أنه لا مثيل له في جميع المخلوقات، لقوله تعالى: "ليس كمثل شيء". وأنواره تجلت في النبي صلى الله عليه وسلم بأن أنزل عليه وحيه الأتم والأقدس؛ القرآن الكريم الناسخ لكل

¹ علي بن حمية، الديوان، ص 66.

² علي بن حمية، الديوان: ص 08

الديانات وأكملها. ولهذا عبر عنه الشاعر (بالتجلي) الذي يتم بالوحي الإلهي والآيات القرآنية الكريمة. وفي مدحة (طالب رضاك) يقول:

ارجع يا عقلي نوصيك وعند مولاك ينجيك
ري من فضله إيجازيك هو إلي في ملكه حاكم
واحد لا معاه شريك في السر الخافي يعلم¹

في هذا البيت يخاطب الشاعر ذاته ويوصيها بالرجوع إلى الله تعالى، وهو ما يعبر عنه الصوفية بالحوار أو المحاورة؛ إذ أنه يحاور الغائب إمّا نصحاً أو إرشاداً أو نهياً عن المنكر. ففي قوله: "ارجع يا عقلي نوصيك"، يوجه الشاعر الخطاب للعقل الذي يمثل الإدراك، فإلى ماذا الرجوع؟! إلى عبادة الله تعالى، لقوله: "اعبد مولاك ينجيك" لأنه هو وحده صاحب الفضل والكرم والجود والعطاء، ولهذا قال (من فضله إيجازيك) لأنه الواحد الأحد الحاكم في ملكه ولا شريك معه في تدبير شؤون هذا الملك. وفي الأخير ذكر المُخاطَب بأن الله هو الوحيد الذي (يعلم السر وما خفي)

2- الالتجاء إلى الله بالتضرع والمناجاة:

الهربة لرب العالمين خالق الدنيا والدين
لا يحتاج معه معين ولا تكيده حاجات²

الشاعر في هذا البيت يبين أن الملجأ والمهرب لله وحده، لأنه خالق الدنيا وما فيها ولا يحتاج أحد لمساعدته (لا يحتاج معه معين) ويصغر أو يعجز أمامه شيء ومن أكثر الأمور التي أشار إليها القراءان يجب على المسلم الالتزام بها هي التضرع، وهذا يدخل ضمن أدب المناجاة الذي أتى فيه الصوفيّة بكل معنى جديد بديع، وقد أحدثوه لمناجاة الله عز وجل، والحديث إليه والاستغراق في خطابه، ومن ذلك:

حزب التضرّع والابتهاال وقرع باب الملك المتعال للشيخ أحمد التجاني: "إلهي وسيدي مولاي، هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانته، وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه، حالي لا

¹ المصدر نفسه، ص07.

² علي بن حمية، الديوان، ص08.

يخفى عليك، وهذا ذلّي ظاهر بين يديك، ولا عذر لي فأبديه لديك، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته من مناهيك وعدم طاعتك... وليس لضعفي من ينصرني منك غيرك، وأنت العفو الكريم والبرّ الرحيم الذي لا تخبّ سائلا، ولا تردّ قاصدا، وأنا متذلّل لك، متضرّع لجلالك، مستمطرّ جودك ونوالك، مستعطفا لعفوك ورحمتك...¹.

3- تعظيم الله - عز وجل -:

ذكر الشاعر مواصفات المعبود فأبدع في عظمه صفاته التي استفرد بها مذهولا أمامها يقول:

هو الأول هو الآخر	هو الباطن هو الظاهر
سبحانه رقيب وناظر	لا عنه خفيات
كل مجلس معنا حاضر	عن سائر لأوقات
حي ديمة طول الدوام	خلق الدنيا في ستة أيام ²

فالله سبحانه هو الوحيد المالك للأرض والسماء ويعلم ما يخفى وما يظهر فهو الرقيب والناظر والحي الذي لا يموت، حاضر في كل مجالسنا ومسؤول عن حسابنا وجزائنا، لقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره﴾³. ويقول أيضا:

سبحانه في ملكه وحده	حي ديمه على طول المدة
خلق ملكه مجمول وقده	أراضي وسماوات
بيده الرخاء والشدة	والنار والجنان
بيده القدرة والإرادة	الكون ملكه ولعباد عباد ⁴

¹ الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج1، ص 227.

² علي بن حمية، الديوان، ص 07

³ سورة الزلزلة، الآيتان 7، 8.

⁴ علي بن حمية، الديوان، ص 07.

اتصف الله سبحانه وتعالى بالعظمة وصفات الكمال التي تليق به وقد تجلت هذه الصفة من خلال مخلوقاته، والتي وردت في القرآن الكريم في العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾¹. ويقول أيضا:

ما بين الكاف والنون يقول للشيء كُنْ يكون
الدهر عنده ميزون بيده الرخاء والشدة
يعلم سر المكنون ضمير ما في الكبد²

كلام الشاعر هو دليل على عظمه وقدره الله سبحانه على كل شيء وهو الأمر والناهي ويقول لكل شيء كن فيكن وكل شيء له وزن ودقيق في تدبيره وبيده القوة والضعف ويعلم ما خفي من الأسرار المكنون.

4- التغني بأسماء الله الحسنى:

يقول الشاعر:

بديت بسم الله الحي الدائم محل الجود والنعائم
ما خلق القول به قايم لا شريك معاه
من غيره لا حد يردم عظيم الجاه³

تغنى الشاعر بأسماء الله الحسنى التي استفرد بها عن باقي خلقه فهو الحي الدائم الخالق اتصف الله سبحانه وتعالى بالعظمة وصفات الكمال التي تليق به

5- الخوف من يوم الحساب:

يقول الشاعر:

الخلق كل مجمولة لازم تعرض عالمولى
ربي ولملك عدوله مازال يشد المجرم
لا هربة تفك لا حيلة ولا معطى رشوة درهم
يوم اللي تحيا النفوس بإذن الملك القدوس

¹سورة الواقعة، الآية 74

² علي بن حمية، الديوان، ص19

³ علي بن حمية، الديوان، ص111

يلقاه في الجنة معرّم

واحد خيره مدسوس

ايقيدوه للنار ملجم¹

وآخر يمشي محبوس

يعبر المداح عن هذا اليوم الذي يحاسب الله فيه عباده على أعمالهم، فهذا اليوم لا تنفع فيه حيلة ولا ندم إلا من عمل صالحا وخاف ربه، وأتاه بقلب سليم، وقد نظم الشاعر في هذا الموضوع؛ الجزاء لتذكير السامع بهول هذا اليوم حتى يستعد له بالطاعات ويتجنب المعاصي والذنوب. ويواصل المداح تعبيره عن هذا اليوم الذي تحي فيه النفوس من جديد وهو يوم البعث وتعرض الأعمال والأفعال، ومن لهم نصيب في الجنة هي المأوى ومن لهم في النار هي المأوى. ويقول:

لا من يتم فيها قايم

الدنيا كي منام النائم

ماله شريك في لوطان

ما يدوم إلا العزيز الدائم

6- الحج:

يقول تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتينك من كل فج عميق﴾². إن الحج فريضة من فرائض الدين الإسلامي وعلى المسلم أن يؤديها ما استطاع لذلك سبيلا، وزيارة البيت الحرام من أعظم التكاليف الإلهية وأنقلها، وأصعب العبادات البدنية وأفضلها، وهي سبب لتطهير العبد من كل الذنوب، ولهذا يحث الشاعر عليه، بقوله:

كالحج وزمزم في الطوفة³

إلي زار مقامه ظهر جسده

7- الصلاة:

فرض الله تعالى على المسلمين أداء خمس صلوات في اليوم واللييلة، والصلاة عمود الدين والركن الثاني من أركان الإسلام، وهي من أعظم العبادات، لذا لا بد من الاعتناء بها وبوقتها، لقوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾⁴. ويذكر بها الشاعر المريـد خاصة والمسلم عامة بقوله:

² سورة الحج، الآية 27

³ علي بن حمية، الديوان، ص 28

⁴ سورة النساء، الآية 103

دوانا بصلاة الخمس

عرفنا بواحد وحده¹

طريق السعادة

عند المولى السجادة²

عبر الشاعر عن الصلاة بأنها مفتاح السعادة، يقول الشيخ سيدي أحمد التجاني: "وأعظم النوافل تقرباً إلى الله؛ الذكر وكذلك الصلوة بتعاهدها بالحضور القلبي لأنها مثل الذكر"³. ويقول أيضاً: "وأديموا الصلوات المفروضة في الجماعات بالمحافظة، فإنها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا في نبذ قليلة توجب العقوبات، وإن لله سبحانه وتعالى بالمدام عليها عناية عظيمة"⁴.

ولهذا يربّي شيوخ الطريقة التجانية الشباب بتوجيههم إلى الصلاة في المساجد، يقول الشيخ الدكتور سيدي محمد العيد التجاني: "وكذلك أتوجّه لعموم الأحباب بأن يعمّروا بيوت الله تعالى، وأن يؤدّوا الصلوات في المساجد مع عموم المصلّين، ويتركوا الانزواء عن الخلق"⁵.

8 - تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم:

من أهم القيم الدينية التي جاء بها الإسلام هي، تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وحبّه واتباع سنته وأخلاقه العظيمة، يقول الشاعر:

يحب الحق جل جلاله

وحبيبه زين الرسالة

محمد سيد الفضالة

مشهور أسماه

قبل الزمان في أول حاله

المولى اصطفاه⁶

ويقول أيضاً:

¹ علي بن حمية، الديوان، ص16

² المصدر نفسه، ص14

³ الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج2، ص 449، 450.

⁴ المرجع نفسه، ص638، 639.

⁵ أمينة تجاني، خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، مخطوط، ص120.

⁶ علي بن حمية، الديوان، ص111

سابق قدام كل صوره

خصايل النبي مشهورة

للخلق أهداه

ريب خلقه منه نوره

كافر اللي خطاه¹

مسلم اللي تبع شوره

يعظم الشاعر أخلاق النبي وخصاله الحميدة والمشهورة (الهداية والنور) وعلى المسلم اتباع منهجه، والاقتداء بسنته. ويقول أيضا:

صلى عليه كل أوقات

سبحانه عالي الدرجات

جانا بالغرض إلي واجب

محمد زين الخصلات

بيده أرباح كل سبب

عرفنا بالحق بالصفات

9-الشفاعة المحمدية:

يقول الشاعر في حق الشفاعة المحمدية التي خص بها الله سبحانه وتعالى نبينا ورسوله:

نصلوا كل يوم عن لمجد

ربي وأملكه تشهد

يقوم بأمره الله

شفيعنا نهار الموعد

اللي داخل في حماه²

ما يشوفش النار الي تصهد

يشرح الشاعر الشفاعة المحمدية في هذه الأبيات شهادة الملائكة وبصلاتنا على الرسول ونبينا الذي يشفع فينا يوم الموعد الأعظم بأمر من الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة والنجاة من النار وما يؤكد ذلك حيث الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: "أمتي، أمتي".

المطلب الثاني: القيم الروحية

1- مفهومها:

أ- لغة: ذكرنا تعريف القيمة لغة واصطلاحاً سابقاً

ب- مفهوم الروح

لغة: الروح في اللغة (الراء والواو والحاء) أصل كبير مطرد يدل على سعة وفسحة واطراد، والروح بالضم النفس التي يحيا بها البدن يقال: خرجت روحه أي نفسه وهو يذكر ويؤنث لان

¹ المصدر نفسه، ص112

² المصدر نفسه، ص112

العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ويجمعها الأرواح وهي كذلك بمعنى الرحمة كما قال تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾¹.

اصطلاحاً: هي جسم لطيف خلقه الباري تعالى وأجرى العادة بان الحياة لا تكون مع فقده، فإن شاء الله موته أعدم هذا الجسم، ومنه عند إعدام الحياة، وعليه فالروح شيء موجود داخل جسد الإنسان وكيانه الداخلي³.

3- مفهوم القيم الروحية:

هي مجموعة المعايير التي تحكم علاقة الفرد بخالقه، وتكون لديه الوعي بحقيقة الكون والحياة والإنسان وتحقق لديه التدين الصحيح وتنمي لديه الضمير (الوازع الأخلاقي) والمسؤولية الأخلاقية تجاه خالقه وتجاه نفسه وتجاه مجتمعه وبيئته والآخرين من الأفراد المحيطين به، وتوجه سلوكه وفق ثقافة مجتمعه وقيمه وعاداته وتقاليده⁴.

2- أبرز القيم الروحية في الديوان:

أ- المحبة الإلهية: (حب الله)

المحبة هي أسمى وأرقى العلاقات الإنسانية في الوجود وتتأثر نتيجة العلاقات الطيبة بين المحب ومحبوبة في أول الطريق، وتأتي هذه العلاقات السامية نتيجة صفاء القلب ونقاءه مما فيه من شوائب، وتظل هذه العلاقات تعلو وتظهر وتتشابك لتؤدي إلى إرادة المحب تحت تصرف محبوبة في نهاية المطاف يمنح المحب أغلى ما لديه وأشرف ما يملكه لمحبوبة وهو قلبه، "ولا توجد حدود المحبة بل لها آثار وشواهد تتصرف عليها وتتخلص في نقاط هامة منها الميل الدائم نحو المحبوب والإيثار، وهذه بداية المحبة التي لا قرار لها... يقول الجنيدي حينما سئل عن شواهد المحبة: سمعت الحارث المحاسبي يقول عن المحبوب:

¹ سورة النساء، الآية 171

² ابن منظور، لسان العرب، م2، ص 426 (مادة الروح)

³ التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص 177

⁴ أماني طه محمد فاروق جعفر عبد الحكيم، تربية المواطنة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، دط،

2013، ص 14974

مليك له بكليتك وإيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم مرافقك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه"¹. وفي ذلك يقول الشاعر:

والي يعز يعز خالقنا من نطفة عدم صنعنا

في بطون لمهات اعتقنا واسع الرحمات

من أنواع الخير رزقنا صحة وثمرات²

يدعو الشاعر إلى محبة الله -عز وجل- لأنها أهم ما تدعو إليه طريقته؛ الطريقة التجانية، وذلك للفوز بمحبة الله تعالى والتي هي أقصى ما يطمح إليه المسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي أهل في السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض"³.

وفي ذلك يقول: "فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً، وصدقته خبراً، وأطعته أمراً، وأجبتة دعوة وأثرته طوعاً، وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن كذلك فلست على شيء. وتأمل قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يَحَبِّبْكُمْ اللَّهُ﴾ فاتّباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياحين النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين"⁴.

فالمحبة رباط القلوب وشفاء النفوس وتحقيق الغايات النبيلة وتوحيد الأهداف من أجل علو الرؤية والتخلي بالفضائل الإنسانية طاعة لله تعالى ورسوله المجتبي صلى الله عليه وسلم⁵، والحب هو المعنى المطلق الذي يُحرّر الآدمي من نسيبته التي يكتنفها الشر والتي تخضع للضرورة⁶، فمتى امتلأ القلب بالمحبة فلا يمكن أن يصدر عنه ما ينافيها كالكرهية والبغض والعنف والحسد والحقد وغيرها.

¹ عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها ط-(2) 1999م مكتبة مدوني الميدان - ص(105)

² الديوان، ص 08.

³ البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الأدب، ص82 (رقم الحديث 6040)

⁴ الحاج علي حرازم، الجواهر، ج2، ص 718.

⁵ ألقاه بمناسبة الزيارة الموسمية بزاوية تماشين المحروسة، الجزائر، مارس، أبريل 2012.

⁶ مداخلة معنونة بـ"الإنسان الكامل وعلاقته بالطبيعة"، سيدي الحاج علي التماسيني ؓ نموذجاً.

2 - الرحمة:

الرحمة قيمة من القيم الروحية وصفة من صفات الحق تبارك وتعالى التي وصف بها نفسه كثيرا في القرآن الكريم، فضلا في تصدر كل سورة بصفتي الرحمن والرحيم في البسملة للدلالة على مبلغ رحمته العظيمة قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾¹.

وقد ظهرت آثار رحمته في الخليقة كلها فما من أحد مسلم أو كافر إلا وعليه من آثار رحمته في هذه الدنيا قال سبحانه وتعالى: ﴿بكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾² وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم عن رحمة الله تعالى ومبلغ سعتها فقال: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي"³. ويتحدث الشاعر علي بن حمية في ديوانه يقول طالبا الرحمة من الله سبحانه وتعالى:

الهبة للخالق وحده	ياسامع هالقول
الهبة للخالق وحده	سعد اللي يطاع الله وعبد
يأتينا برحمة من عنده	رحمة عرض وطول ⁴

يبشر المداح المسلمين برحمة الله تعالى وغفرانه، فيقول:

ارحمني أنا والأمة الكل	واللطف فيها نزل
يا مولى الجود تقبل	في طلبتك لا نتحشم
بجاه نبيك المرسل	ارحمنا باسمك الأعظم ⁵

يطلب الشاعر الرحمة له وللأمة جمعاء اللطف من الابتلاءات بسم الله العظيم "الجواد".

3 - الزهد في الدنيا:

الزهد في اللغة الإعراض، وهو ضد الرغبة والحرص على الدنيا في الزهد أن تزهد فيما تملك، فإن لم تملك شيئا ففي أي شيء تكون الزهادة، فالزهد عمليه إيجابيه فيها ممارسه

¹ سورة الأعراف: {156-157} الآيات

²

³ البخاري، الصحيح، ص98، رقم الحديث 7453

⁴ علي بن حمية، الديوان، ص11

⁵ المصدر نفسه، ص24

ومجاهدة، وقبل أن تبدأ هذه العملية لابد أن يستكمل الإنسان مقومات حياته بالعمل والكسب والقدرة على الاستمتاع بها بمباهج الحياة فإذا تم له استكمال هذه المقومات وملك أسبابها تبدأ مرحلة الزهد إن أراد¹. ويصفه الشاعر في هذه الأبيات بقوله:

ربي علينا يفرج	في كل لحظة ودرج
ربيت غزلها متضرم	دار الدنيا كلها عوج
عن طول الأمل أتحزم	اللي كثر ماله زاد أهرج
ماله نجاة في الأخرى	الباع دينه بالدنيا
من طيح فرضه يندم	أخطاه دار المنيا
عنه إبليس أتقدم ²	هالجهل للكفر غدا

يطلب الشاعر من الله سبحانه الفرج في كل دقيقة وكل ثانية، لكثرة اعوجاج النفس كما يحذر من يشتري دينه بدنياه، فيشتغل بتحصيل المال وينسى عبادته وطاعته، كما يحذر من التلاعب بالدين والاهتمام بالدنيا. يذكر الشاعر في كبح جماع النفس بالعبادة والرياضة الروحية ومخاطبة العقل بالنصح والإرشاد والتوصية.

4- الصبر: معنى الصبر هو حبس النفس والكف عن الشر كقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾³. يقول الشاعر:

افرح يا قلبي واصبر وارتاح	واحرث حرث الخير حتى تصيبه
واعبد ربي اللي خلق لرواح	من ودك في الكون جيت حبيبه ⁴

في هذه الأبيات يهنئ المداح قلبه بالفرح بقوله: (افرح يا قلبي) ثم يطالبه بالصبر على البلاء وعلى الضيق والعسر الذي قد يصيب المسلم (اصبر وارتاح) ثم يأمره بالعمل الصالح (احرث حرث الخير) أيًا كان نوعه، ويبين أن فعل الخيرات والقيام به يلزمه الصبر.

¹ محمد كامل حنه، القيم الدينية والمجتمع، دار المصارف، القاهرة، دط، 1991، ص71

² علي بن حمية، الديوان، ص21

³ سورة الكهف، الآية 28

⁴ علي بن حمية، الديوان، ص32

5- التوبة والمغفرة:

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله تعالى لا يتعاضمه شيء من ذنوب العبد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم، فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته". وعن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه بعدما فعلوه بأخيهم يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾¹. وقال يوسف لإخوته في قوله تعالى: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾². ويقول الشاعر طالباً من الله سبحانه وتعالى الغفران من الذنوب والمعاصي:

سألتك يا مطلوب بجاه النبي المحبوب
اغفر لنا كل ذنوب قبل الوفى والصدده
لبسنا من الرحمة ثوب ومن التاج النور لبده³
ويقول أيضاً:

يا رب نطلبك نجينا واجعل صورتك حايط بينا
جيتك بجاه الحرم نبينا امحي الذنوب والعصيان
امحي الذنوب وأغسلها حنا والمؤمنين كلها

ابتدأ الشاعر (المدايح) بالنداء مستعملاً الأداة (يا)، وهذا عند الصوفية يسمى "الاستغاثة"، وهو طالب للنجاة، له ولكل المسلمين، كما يطلب بأن يحيط به صوراً، هذا الصور هو حصن الألفاظ الإلهية العامة والخاصة، العامة في مقام الإسلام، والخاصة في مقام الإيمان أو الإحسان بحسب درجة صفاء المستغيث مع الله. ويقول أيضاً:

ربي طلبتي يكملها يرحمنا والذنوب يغسلها
نايا ولسلام الكلها امحي لي سويناه
يجعلها مع اللي خالصة عملها نصر الدين وحظاه⁴

¹ سورة يوسف، الآية 98

² سورة يوسف، الآية 92

³ علي بن حمية، الديوان، ص 20

⁴ المصدر نفسه، ص 114

في هذا البيت يسأل المداح الله أن يكمل له طلبه بأن يرحمه من كل ذنوبه ويغسلها له ولكافة المسلمين، طالباً محوها لعلمه أن الله غفور رحيم، وأن يجعل منزلته ومرتبته مع جموع المسلمين والمؤمنين الذين أخلصوا عملهم لله، الذين نصروا دين الله وحافظوا عليه.

6- الحمد والشكر لله

إن الحمد والشكر هو أصل العبادة، لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾، لذلك اهتم الصوفية عامة وشيوخ الطريقة التجانية بحمد الله تعالى على النعم الظاهرة والباطنة، وكان الشكر أحد أذكاهم، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني: "أقل الذكر؛ ذكر اللسان... بتلاوة سورة الفاتحة بنية الحمد من مرة إلى مائة مرة في اليوم". يقول الشاعر:

طول نشكر في فضل الله ربي لا شريك معاه
خلق الملك ونشاه أنواع كثيرة مختلفة
فضل رسولنا وأعطاه نوره كالشمس لا يطفى

في هذه الأبيات يبدأ المداح بشكر الله الذي لا شريك معاه، لأنه أكرمنا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وأهمها نعمة الإسلام، ونعمة وانتمائنا لسيد الكائنات عليه أفضل الصلوات؛ شفيعنا يوم الزحام. ويقول أيضاً:

كل الشكر لربي خالقنا سبحانه هو اللي عتقنا
ودنا وأعطانا ورزقنا في أمر الكون غائب
للطريق الصالح وفقنا جابنا أحباب يا صاحب
بنعمة ربي نتحدث هو اللي يمنع ويورث
يرضى المؤمن تو يحرث أفعال الخير اللي تعجب
يهرب من الشور اللي مخبث يقصر الجيش اللي يسلب¹

يشكر المداح الله الذي خلقنا، وهو الذي أعتقنا من الجهل، وسيعتقنا من النار بحوله وقوته ثم يذكر العباد بعبائهم من خيرات وعبادات ظاهراً وباطناً، حتى يبادروا إلى حمده وشكره فينالوا الزيادة كما قال تعالى في آياته وكتابه العزيز. ويقول أيضاً:

¹ علي بن حمية، الديوان، ص 68

1 المصدر نفسه، ص 26

نشكر نعمه ربي ديمة قد الكون ما عنده قيمه

صاحب السماء العظيمة رب المخلوقات

لا شريك في الملك خصيمه بيده حكومات

7- الذكر

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيَخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾¹. يعتبر الذكر عند الصوفية تلك الشحنة القوية من الإيمان التي تجعل المسلم يستمر في عبادته، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ قَضَيْتُمْ لِلصَّلَاةِ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾. فلي المسلم أن يذكره عقب كل عبادة يقضيها لأن ذكره ينهي عن الفحشاء والمنكر، يقول الشاعر:

نشكيلك في كل أنفس ولعني بذكرك نحرص

واسقي روعي نقس من سر محمد دائم

يتوجه المدايح إلى الله تعالى بالشكوى في كل نفس، أي في كل وقت وحين مع الأنفاس، وبطلب منه راجيا أن يجعله مستهتراً بذكر الله، ثم يزيد الطلب أن يسقيه من (الروح الأقدس) الفيوضات الإلهية، ثم يطلب منه أن يحفظ له دينه من كل النجاسات الظاهرة والباطنة، وأن يبعد عنه الظلمة والظالمين حتى لا يشوشون عنه في دينه فلا يتصادم معهم، ويقول:

ونسي في الغربة وعزي ضوي في الظلمة وكنزي

ذكر المعبود هو حرزي محال ننساه

سلاح للعدو به نرزي نفخر بثناه²

فإنه تعالى هو الأنس المؤنس للشاعر في غربته حيث اشتاقت نفسه لمولاه وخالقها الذي هو نورها (ضوي في الظلمة)، يقول تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾.

¹ سورة الأحزاب الآية 41.

² علي بن حمية، الديوان: ص 111

يجلي الظلام الدامس المترتب على ظلم النفس وأهوائها فإن الذكر منقذه من الظلام وطريقه إلى هو ذكر المحبوب؛ الله عز وجل، كما أن سلاحه هو إرزاء أعدائه (النفس والشيطان). وجاء في الذكر قوله:

ما تبقى كان المفروزه اللي عند ربي معروزه
حزب الشيخ تظهر كنوزه اللي بالوظيفة يذكر

يشير الشاعر إلى أن من يذكر الله تعالى سيكون متفرداً عند الله سبحانه وتعالى (ما تبقى كان المفروزه)، وسيكون عزيزاً مبجلاً، قال تعالى: ﴿والذاكرين الله والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾. كما حث مستمعيه على الالتزام بالورد التجاني ألا وهو ذكر الوظيفة الذي يُذكر (جماعياً).

9- حب الرسول صلى الله عليه وسلم:

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي عنوان محبته والعرفان له بفضلته -بعد الله عز وجل- على أمته فالفضل عائد بالأساس لله سبحانه وتعالى في بعث النبي (ص) للناس فكان الشكر لله عز وجل على تلك النعمة، والقيمة الصلاة على الرسول (بالصلاة عليه) شكراً له وشكراً لله من قبله أرسل إلينا هذا الرسول بتلك الرسالة العظيمة، يقول ابن القيم: "الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدراً ولا إرادة ولكن سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسر من شكره وأداء حقه"¹.

قال الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾² وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً". ومن عظمة الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) عند أهل الصوفية ما نجده في المدونة يقول الشاعر في ذلك:

اللهم صلى على الرسول قد الدنيا عرض وطول

¹ ابن القيم الجوزية، جلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنعام، ص 536

² سورة الأحزاب: آية 56

للسماء العظيمات¹

محمد زين اليقين

الدنيا ظلام سوده

لا عالم تسمع رشده²

قد ما عبد البر مجمول

ويقول صلوا عليه يا حاضرين

لولا من الصادق الأمين

لا يخلق آدم من الطين

ويقول أيضا:

وأملكه الكل مجمولة

بلا لوحه قزاه

الرسول مفتاح كل جنة

بغير لا شفناه³

عليه صلى ربي المولى

الحق جعله رسوله

يربح من صلى عنه

صدقنا بيه وآمنا

صلى الله سبحانه على رسوله الكريم وملائكته الكرام والصلاة عليه هي مفتاح الجنة،
فالشاعر هنا يعبر عن صدقته وحبه الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم، حسرة وشوقه كبير
إليه.

¹ علي بن حمية، الديوان، ص 07

² المصدر نفسه، ص 17

³ الديوان، ص 112

الفصل الثاني

القيم الاجتماعية في ديوان علي بن حمية

مفهوم القيم الاجتماعية

القيم الاجتماعية الإيجابية في الديوان

العادات الاجتماعية السلبية في الديوان

تمهيد:

من المعروف أن القيمة كمصطلح في العلوم الاجتماعية قد تعني أي موضوع أو حاجة أو اتجاه أو رغبة ويستخدم هذا المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة أخرى.

وفي هذا الجزء من البحث سنتناول قصائد علي بن حمية التي تحتوي على مجموعة من القيم الاجتماعية مبرزين أثرها على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول: القيم الاجتماعية الإيجابية

المطلب الأول: مفهومها

1- القيم الاجتماعية:

اختلفت تعريفات العلماء والباحثين للقيم الاجتماعية، فكل يعرفها حسب زاوية نظره؛ إذ تعرفها موسوعة العلوم الاجتماعية بأنها "الاعتقاد بأن شيئاً ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية معينة وهي صفة الشيء التي تجعله ذا أهمية أو أولوية لفرد أو جماعة"¹. وتعرف أيضاً بأنها "مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس يتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم، ويحكمون به على تصرفاتهم المادية والمعنوية"².

ويرى (توماس) بأن "القيمة الاجتماعية تتطوي على مضمون واقعي وتقبله جماعة اجتماعية معينة كما أن لها معنى محدداً حيث تصبح في ضوءه موضوعاً معيناً أو نشاطاً خاصاً"³. أما (نيل سمسler) فيرى بأنها "الغايات المرغوبة التي توجه النشاط الإنساني أو هي القضايا العامة للغايات الشرعية الموجهة للفعل الاجتماعي"³. في حين يرى (نوبس) بأنها "مجموعة مبادئ وضوابط سلوكية أخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والتجمعات ضمن مسارات معينة إذ تصب في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع"⁴.

¹ محمد إسماعيل بلال، السلوك التنظيمي بين النظرية والتطبيق، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2005، ص190.

² أحلام عتيق معلى السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج3، ع2، يناير 2019، ص 84.

³ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص1428

من خلال التعاريف السابقة نجد تباينا بين العلماء حول تحديد مفهوم القيم الاجتماعية؛ فكل ينظر لها من زاوية معينة، وهذا ما أشار إليه (وليمز) بقوله: "مفهوم واسع وشامل له ميزة جذب الانتباه لإمكانية وجود عناصر قيمة في كل أنواع السلوك الفطرية أو التلقائية"، ولكن رغم ذلك يمكن القول إن القيم مفهوم جامع لكل ما من شأنه أن يمثل معيارا وميزانا يتحرك من خلاله الإنسان ويتصرف وفقه بوعي، سعيا للاستقامة والصلاح.

وعيا وسعيا، بوعي من إشارته وتوجيهاته بحيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات، به يكون لهذه الحركة قدرها، وفاعليتها¹.

2- أنواع القيم الاجتماعية:

تحتل القيم مكان الصدارة وتترجم بالعمل على إزالة الجهل وإثارة الوعي². وذلك من خلال تجسيد القيم المرغوب فيها، وتجنب القيم غير المرغوب فيها، وهذا يؤكد على وجود قيم اجتماعية إيجابية وأخرى سلبية.

أ- القيم الاجتماعية الإيجابية:

ويقصد بها القيم الأخلاقية السّجّيا والعادات الفطرية السّوية الحسنة التي ترافق الإنسان في أعماله وتصرفاته وعلاقاته مع الإنسان، وتعتبر الأخلاق من الثوابت الدّينية وتنمو في ضوء القيم الإيمانية. وهي ثلاثة أنواع:

أ- 1- قيم أخلاقية فطرية: وهي القيم النّابعة من الفطرة والجبلة، مثل: الرحمة والتعاون والعدل والمحبة...

أ- 2- قيم أخلاقية إنسانية: وهي القيم ذات البعد العالمي الإنساني، مثل: الحرية والمساواة والصدق والجمال....

أ- 3- قيم أخلاقية إسلامية: وهي القيم الخاصّة بتوجيه سلوك المسلم وأعماله، مثل: الاستقامة، الوفاء بالعهد، برّ الوالدين والإحسان إلى الجار والأمانة....

¹ محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، قطر، 1431هـ، ص120.

² عارف عطاري، الإدارة التربوية مقدمات لمنظور إسلامي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1439هـ، ص57.

فالأخلاق هي الصفات الأساسية التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ديننا دين الأخلاق والتسامح ونبيّنا يمثّل القدوة والمثل الأعلى في ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق". فهي ثمرة الإيمان لأنها تتبع من عقيدة المؤمن، وهي أساس التعامل بين الناس، وهذه هي الأخلاق التي ركّز عليها الصوفية، ومن بينهم الشّاعر؛ علي بن حمية في شعره من أجل ترسيخها بين أفراد المجتمع.

ب- العادات الاجتماعية السلبية:

وهي الأخلاق السيئة والمذمومة، وغير المقبولة في المجتمع كالكذب، النفاق، الخيانة...

المطلب الثاني: القيم الاجتماعية الإيجابية في الديوان

تتمثل القيم الاجتماعية في التفاعل الاجتماعي والود مع الآخرين والقدرة على تكوين العلاقات مع مختلف أنماط البشر ومشاركة الآخرين في مشاعرهم ومسؤولياتهم ومناسبتهم والقدرة على تكوين العلاقات مع الآخرين، ولهذا فهي تلعب دورا كبيرا في إرساء دعائم المجتمعات؛ إذ أن المجتمع الذي يفقد قيمه يفقد اتزانه ويضيع أفراداه. ولأهميتها وكونها أعمدة البناء في بنية للمجتمع فإن الشاعر علي بن حمية ركز عليها في ديوانه، ومن أبرز القيم الاجتماعية التي تناولها:

1- إظهار الحق:

يعرف الحق لغة على أنه الوجوب والثبات والعمل، والإسلام وهو مصدر الفعل حق، وفي ذلك يقول الشاعر:

هالجهال الطاهمة صورها ينهد ما تبقى إلا ديارها قاع¹

ويقول في قصيدة أخرى:

منصغره تكلم ونذر قال ربي رسلني لعبده

لما يمشي لماخذ الحق ما فيش جده²

¹الديوان ص 2

²الديوان ص 17

بغير الشاعر في هذه الأبيات عن قيمة الحق وظهوره كالسيف القاطع للباطل، والقاتل للكفار الضالين والجاحدين لكلمة الحق التي لا يستطيع أي إنسان إنكارها وجدها حسب الشاعر: "الحق ما فيش جعدة". ويقول أيضاً

الحق يعلى والباطل ضباب
تظهر شمس تجلى كل سحاب
لا عادوا أهل الله مخدوعين
يخرج صاحب الحق يا حاضرين¹

الحق عند الله عالي المقام والباطل ضباب لا يراه الإنسان، فالحق كالشمس المشرقة التي ينتشر نورها فيمحو كل ظلام، وهو هنا يقصد نور الإسلام الذي نصره الله تعالى، لقوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾².

2- الصبر: يقول الشاعر:

ما طقناش الصبر هالوقت ناسه قلال
ما عادش العاقل متربص³
الصبر قيمة أخلاقية واجتماعية كبيرة وعظيمة، لقوله تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾⁴. فهو الذي يمنح المسلم القدرة على مواجهة أعباء وقسوة الحياة، والصبر نوعان؛ صبر على الطاعة بحسن أدائها وتحمل البلاء في سبيلها، وصبر عن المعصية باجتنابها. والشاعر في هذا البيت يحث المسلم عن الصبر لعظم أجره عند الله تعالى، ويتألم بسبب قلة الصابرين في وقته وعصره "ناسه قلال".

3- النصيحة: (النصح والتوجيه)

الخير للمنصوح بفعل ما ينفعه أو ترك ما يضره وما يجهله ونحوها من وجوه الخير، يقول:

يا سامع نوصيك لا يشدك تخمام شد
اللي شاهي نبينا يحبه يقظة
طريق الخير باين ما يخفاشي
ولا منام يذكر الوظيفة ما يتركهاشي⁵

¹ الديوان، ص 47.

² سورة الإسراء 81.

³ الديوان، ص 40.

⁴ سورة البقرة 153.

⁵ الديوان، ص 124.

يكثر المداح بن حمية في شعره من النصيح بطريقة مؤثرة على القارئ، ففي هذا البيت ينصح المسلم بفعل الخير، ويؤكد له على أنه واضح "باين" لا يحتاج إلى تفكير "تخمام".

في هادي الدولة لا عادت نصيحة مقبولة

سلم للمولى والي سبق له أمر بقاله ¹

ومع تألمه لكون الناس لم تعد تقبل النصائح، إلا أنه لن يتوقف لقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة". كما يدعو إلى التسليم لأمر الله تعالى، وعدم معادة من لم يستمع للنصيحة. ويقول أيضا:

نوصيك يا لتسمع خمل عوين الزاد

العمر راهو يفنى قرب سفر الأحباب

لا دامت لسيد لمة ولا سلطان وقياد

هذه الكلمة تحكيها للي يسمعون لنشاد

ينصح الشاعر المسلمين عامة والمريدين خاصة بفعل الخيرات، ويذكرهم بالموت وما بعده من جزاء وثواب وعقاب، فالسفر طويل ولا بد له من زاد كثير.

5- طريق الخير: يقول الشاعر:

العبد اللي حبه مولاه لطريق الخير جبهه

صاحب القدرة خلاه يلزم شكره وحمده ²

يوضح الشاعر في هذا البيت بأن الإنسان الصالح الذي يحبه الله سبحانه وتعالى يهديه إلى طريق الخير، وعلى هذا يلزم الإنسان الشكر والحمد على هذا الفضل العظيم. ويعتبر طريق الخير من أفضل الأعمال التي يقوم بها الفرد في حياته وأحبها إلى الله تعالى، لأنه يساهم في زيادة قوة المجتمع وصموده أمام كل التحديات التي قد تواجهه، بسبب قوة تماسك أفرادهم ووحدتهم.

¹ المرجع السابق، ص 58.

² المرجع نفسه، ص 19.

6- طيب الكلام: يقول الشاعر:

ذكره طيب في لساني ديمة عندي فال
من حيه ما في ينجي من لهوال

يدعو الشاعر إلى حسن الكلام واختيار الألفاظ، لأن الكلمة الطيبة أداة اجتماعية للتآخي والمحبة والحوار الجيد الإيجابي، لهذا يأخذ عنها المسلم أجر الصدقة لقوله صلى الله عليه وسلم: "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ". وهذا حتى تنتشر بين المسلمين أكثر وأكثر.

7- المحبة: يقول الشاعر؛ علي بن حمية:

إلي حاز المحبة من عنده هي العمدة في الآخرة والدنيا يرفعها¹

إن المحبة من أرقى القيم الاجتماعية في المجتمع المتحضر والصالح والمنفتح، وخاصة المحبة في الله، لما ورد في قصّة «الرّجل الذي زار أخا له» الي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي جاء فيها: "... أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنّي أحببته في الله عز وجل. قال: فإنّي رسول الله إليك، بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته فيه "².

وهذه هي التي عبر عنها الشاعر ووصفها بالعمدة لأنها عماد الترابط الاجتماعي وقد أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، لقوله: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". كما أنه صلى الله عليه وسلم بيّن لنا سبيل المحبة بقوله: "أَوَّلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ".

8- الرفقة الحسنة (الصديق): يقول الشاعر:

درته رفيق بيه متونس مضمون صاحبه لا يرخص
نشعر عليه في كل مجلس فيه بعجز من قرأ الكتاب³

¹ الديوان، ص 42

² مسلم، صحيح مسلم، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 519 (رقم الحديث 2567).

³ الديوان، ص42.

يتحدث الشاعر هنا عن الصحبة الصالحة، واتباع أهل الخير والإحسان حتى تصبح مثلهم، ولأن الله تعالى أمر باتباع الصالحين، لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وهو هنا قد اختار شيخ الطريقة التجانية ومريديها صحبة صالحة تعينه على فعل الخيرات وتذكره بالله عن نسي أو غفل.

9- التسامح: يقول الشاعر:

يستحمد ربي ويسبح

يا سعد اللي حبه يتهنى

يغفر ذنوبنا ويسامح¹

من فضل إلي يعطي بلا منى

التسامح هو التماس العذر للمخطئ والبحث عن أسباب هذا الخطأ وإعانتته على تصحيح المسار والنهوض من كبوته لما فيه خير له ولمجتمعه وأمته، وهو قيمة اجتماعية عظيمة وأحد مبادئ الإنسانية يتكامل بها الإنسان في حياته اليومية، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾².

وهنا يدعو الشاعر إلى محبة الآخرين دون حساب أو منة أو تردد، مع إعطاء الفرصة للآخرين وذلك بالاعتذار والتسامح وتقبل الآخر محبة في الله.

10- الحكمة والموعظة: يقول الشاعر:

اخطي منازل الخوف من شورها بطل

استيقظ يا لي غافل لا تحط مجرى الوادي

والنفس ليه طايعة بجميع ما يفعل³

عندك إبليس غرق الكثير من العباد

الحكمة والموعظة هي الإصداية في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شي في موضعه بإحكام وإتقان، والموعظة هي إثارة المشاعر لفعل الخير وتجنب الشر وتوجيه النفوس نحو

¹ المرجع السابق، ص 137

² سورة التغابن آية 14

³ الديوان، ص 129

عبادة الله تعالى يقول سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹.

فالشاعر يدعو إلى الاستيقاظ من الغفلة وعدم الجريان وراء الدنيا وعدم اتباع الشهوات والشيطان لأنه يغري النفس ويهلكها، ولا بد من الخوف من الله سبحانه.

11- الاحترام والتقدير: يقول الشاعر:

أشرف عن النبي التهامي يستاهلوا القدر * واحترامي⁴

التقدير هو المادة القوية التي تحفظ العلاقات والطبيعة البشرية تميل إلى الجوانب الاجتماعية والتعايش مع محيطها والعلاقات الإنسانية يجب أن تتوفر فيها مبادئ راقية حتى تستمر بإيجابية، وتعامله مع الآخرين هو استصحاب الاحترام والتقدير تجاههم لبقاء الود والألفة وتجنب الابتعاد والفرقة.

12- المساواة بين أفراد المجتمع: يقول الشاعر:

ما فقتناش الصبر هالوقت ناسه قلل ما عادش الغافل متربص
عادت الحرمة والقدر بالمال الفقير عنه ناسه تعكس²

يقول المداح أن القدر أصبح يشتري بالمال وذلك لتغيير الزمان (هالوقت) الذي أصبح لا حرمة ولا صبر ولا قدر وأن الفقير لم يجد مكانة في هذا المجتمع عكس الغني الذي له المال الذي يرفعه في أعلى طبقات المجتمع، مما يؤدي هذا الاختلال عدم التوازن في هذه الطبقات.

13- صلة الرحم وطاعة الوالدين: يقول الشاعر:

غالي النسب ميصل أمه مع باباه شريف غدوة يشفع في موقف الحشر
ويرفع سبعين من أقرابه أمه وباباه في الجنة يضلوا في النعائم³

¹ سورة النحل، آية 125

² الديوان، ص 40.

اهتم الشاعر بطاعة الوالدين وحث عليها لأنها تقوي الصلة بين العائلات وتمتد الأسرة وتشفع لصاحبها يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْلُ لَهَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. فصلة الرحم وطاعة الوالدين من الأعمال التي يجب على المؤمن التحلي بها.

14- الإحسان: يقول الشاعر:

يا واسع الفصل راقب فعل لسوينا
امحي ذنوبي اناولسلام تتغفر

كل باب خير وإحسان سخر لنا معطاه
سوق لمومنين واقف قعد له الزهر³

الإحسان له قيمة عظيمة في حياة الفرد والمجتمع ويؤدي إلى زيادة قوة أساس المجتمع وتماسك لحياته وحمايته من الدمار والانهيال ووقايته من التعرض للآفات الاجتماعية السائدة ووسيلة لاستمرار تقدم النوع البشرية مما يؤدي إلى الارتفاع في المجتمع وتقدمه وذلك لفضل الإحسان في توثيق العلاقات المجتمعية وتعزيز روح التعاون بينهم.

15- الرضى بالقضاء والقدر: يقول الشاعر:

قسمه الله عالصالحين
برحمته تتجلى

كل من سبق له شيء أعطاه له
سوى خايبة وإلا مليحة أداها

إذا حب عبده للخير ايدله
خلق لعباد عرايا وكساها¹

يدعو الشاعر إلى الرضا بالقضاء والقدر وعدم القنوط من فضله وعطائه، بل يجب على الإنسان أن يرضى بقسمة الله له والدعاء والتقرب إليه، لأنه هو القادر على تغيير حاله إلى أحسن حال.

16- ذكر الموت: يقول الشاعر:

من بعد الموت والهانه
يحيننا ربى سبحانه

إلي هذا ينوض من مكانه
العبد المليح والخايب²

¹ الديوان، ص 103.

الموت حق على كل فرد من أفراد المجتمع فتذكير بها يجعل الإنسان دائماً خائف من الله تعالى ومن أهوال يوم القيامة وهذا يجعله حريصاً على حسن العلاقات الاجتماعية في حسن السلوك مع أفراد مجتمعه مثل (الهروب عن المحرمات).

17- التوكل على الله:

حجرت ليك روعي وأهلي مع الأولاد درتك وكيل الله بأمورنا متحمل

من هول الدنيا والآخرة بيك تنجو من النكاد تريح جميع أحبابك برقة وإذا أقل¹

الإنسان عليه أن يتوكل على الله سبحانه أولاً وقبل كل شيء في أمور حياته كلها ويتوكل على الله، فالتوكل هو الأساس والقاعدة للعمل في هذا المجتمع ليكون بذلك متعاوناً ومساعداً والأداة الفاعلة فيه.

18- الجهاد: يقول الشاعر:

حطه الإله حاكم يأمر بالخير على الدين ينقر يقتل بالسيف

في الظالمين يقهر يكسر تكسير خلى لعدى جملة مكاتيف²

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى الجهاد في سبيل الله وتحرير الدين والقتل بالسيوف في سبيل هو قهر وكسر الأعداء الظالمين. هذه القيمة تحافظ على الشعوب والأوطان من استيطان واستعمار الأعداء لبلاد المسلمين.

المطلب الثاني: العادات الاجتماعية السلبية

القيم الاجتماعية تصورات ومفاهيم تحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعياً وتؤثر في اختيار أساليب السلوك الإنساني ووسائله وأهدافه وتوجه مظاهرها في اتجاهات الأفراد وأنماطهم السلوكية ومعتقداتهم ومعاييرهم ورموزهم فالسياق العام لنسق القيم في المجتمع هو الذي يشكل العلاقات بين الأفراد بالصورة التي تتفق ومعايير المجتمع².

¹ الديوان، ص 98..

² المرجع نفسه، ص 139

وتحدد ما هو مذموم وغير مرغوب فيه، ومن أبرز القيم الاجتماعية السلبية التي تناولها علي بن حمية في ديوانه، نذكر:

1- اجتناب الكذب: يقول الشاعر:

ملعون الكذب علمه يتلاح في جهنم

ويقول في قصيدة أخرى:

كل من صدق بامر يناله الكذب لا لا كل واحد يلقي مفعوله

الكذب هو ظاهرة سيئة تفكك العلاقات الاجتماعية والأسرية وتفقد الثقة بين طبقات المجتمع لقوله (ص): "ما زال الإنسان يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً". والصدق ظاهرة حميدة تقرب العلاقات حتى وإن كانت الظاهرة المتداولة حساسة جداً.

2- اجتناب الجاهل والغافل:

يا لي تفهموا انوصيكم لا تبعوا الجاهل يغديكم

يحذر الشاعر من اتباع الإنسان غير متعلم ووصفه (بالجاهل) لأن مجلس الجهلة يذهب العقل وكرامة الفرد ويدني مستوى الشعوب والمجتمعات، ولهذا أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالاعتراض عن الجاهلين، يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾¹. وأثنى على عباده الذين يمتثلون لأمره، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾². وقد أعرض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن الجاهلين في دعوته لأنه يؤدي إلى انحطاط الأمم.

3- ترك الفساد والحذر من الرشاوى: يقول الشاعر:

ربي ينظر لعملنا لا يرضى بالفساد كل واحد خلقه ربي أمره متوكل

قال كول أرزاقه وأنفق على قدر الجهاد لا تبع الي هو مسرف على طريق بايل

ربي والأملأك عدولة مازال يشد المجرم

¹سورة الأعراف، الآية 199

²سورة القصص، الآية 55

لا هدية تفك لا حيلة ولا معطى رشوة درهم¹

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى ترك كل ما يضر بالحياة العامة كالرشوة وفساد الأموال والرياء وغيرها من المحرمات التي نهانا الله عنها لأنها تكف الضرر بصاحبها في الدنيا والآخرة، لقوله(ص): "لعن الله الراشي والمرتشي والوسيط بينهما".

4- ترك شهوات الدنيا: يقول الشاعر:

من قوم لعدا تحذر الرسول وصى على الخلاق نذر

الدين يبغى الحفظ ويتبذر والنفس لها كان من يعصياها

أهل التقى المؤمنة تتفضلا لله ليهم جنته هاديها²

يدعو الشاعر إلى التحذير من القوم العدو وهم الكفار وهذا عمل الرسول صلى الله عليه وسلم، والحفاظ على الدين من الانهدام وعدم إتباع النفس بل والحث على عصيانها، وإتباع أهل التقوى والصالحين لأن مصيرهم إلى جنة النعيم.

5- اجتناب النفس والشيطان: يقول الشاعر:

نوصيكم يا أصحاب حمدان كثروا من طاعة الرحمن

لا تبعوا النفس والشيطان والدنيا فانية اتزبح

إلي وراها لحساب والميزان عيب الحبيب يتقبح³

يدعو الشاعر إلى اجتناب النفس والشيطان لأنهما سبب هلاك الإنسان وضياع دينه، وبالمقابل حث على طاعة الله عز وجل في كل ما أمر به، والقبول بفناء الدنيا ووجود الحساب والميزان وأن كل عمل يقوم به ابن آدم سوف يجده أمامه، وهذا من عمل المؤمن الصادق الذي يؤمن إيماناً وتصديقاً جازماً بطاعة الله وفناء الدنيا.

6- ترك الشرور: يقول الشاعر:

الدعوة إلى الخيرات وترك الشرور يوم إلي تحيا النفوس

¹ الديوان، ص 130.

² الديوان، ص 96.

³ الديوان، ص 138.

بإذن الملك القدوس واحد خيره مدسوس يلقاه في الجنة معرم

وأخر يمشي محبوس ايقيدوه لنار ملجم¹

يبين الشاعر أن من فعل الشر أو الخير، تنتظره عاقبة أفعاله، ولهذا على الإنسان أن يترك الشر لأنه يعيش في هذا المجتمع مع أهله وعشيرته وجيرانه وأصدقائه، فهم يجمعهم مكان واحد وعليهم فعل الخير لبعضهم البعض.

7- الحسرة والندم: يقول الشاعر:

تندم وقت الموت أصحاب الشياطين يا ويح الي عصا رب العبادي.²

يحذر الشاعر من الحسرة والندم وأكثر من بعد فوات الأوان وحيث لا ينفع الندم وهي الزوال من النعم واصطحاب الشياطين والخروج من الدين (الذي هو الإسلام والحنة) والخروج من رحمة الله.

8- نبذ خيانة العهد: يقول الشاعر:

أحفظنا في الدارين من الظالمين خائنين العاهد كذابة.

اجعلني من أكرم ما بين المضمونين عليك نختم قلبي في جوابه³

يطلب الشاعر من الله تعالى أن يحفظنا ويسترنا من الخائنين العهد والكذابين. وهذه القيمة منبوذة من المجتمع فهي تجعله مجتمعاً منحرفاً تسوده الكراهية والجرائم والظلم.

9- نبذ البغضاء والحسد: يقول الشاعر:

كان العبد البغضه وحسده من الرحمة مولانا طرده

الهدية للخالق وحده ياسامع هالقول⁴

يدعو الشاعر العبد المؤمن إلى الابتعاد عن هذه الآفة الأخلاقية؛ وهي البغض وهو كره الإنسان لأخيه المؤمن من غير سبب، والحسد الذي هو بخل الإنسان لأخيه الإنسان لنعم

¹ الديوان، ص 248.

² الديوان، ص 128.

³ الديوان، ص 144.

⁴ الديوان، ص 11.

تعم على الواحد ولا تعم على الآخر. وهذه الأخلاق السيئة إذا انتشرت بين أفراد المجتمع المسلم فسد وفسدت أخلاقهم وطرد حتى من رحمة الله من (رحمة مولانا طرده) وعلى المؤمن الصالح الابتعاد وتحريم كل ما يغضب الرب ويهلك المجتمع.

خلاصة الفصل:

في الأخير نستنتج أن للقيم الدينية أهمية عظيمة في حياة المجتمع بكل أطيافه، فهي التي تجعل المجتمع تسوده المحبة والطمأنينة والاحترام والسلام ... وكيف لا؛ والقيم الإسلامية هي التي أمرنا بها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهي ليست قيم تنظيرية خيالية، بل تطبيقية عملية يمكن تحقيقها بالجهد البشري في ظل المفاهيم الإسلامية الصحيحة وإمكانية غرسها في كل بيئة بغض النظر عن نوع الحياة السائدة فيها.

وهذا ما لامسناه في البيئة التجانية التي يتغنى شعراؤها بالقيم السامية والمثل العليا والأخلاق المحمدية الفاضلة حتى يعيش المجتمع كأنه شخص واحد، وذلك للحمة التي غرستها القيم من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة وتقدير واحترام وتواضع ...

وهذا يدفعنا لدراسة أثر الأمداح الصوفية في الفرد والمجتمع حتى نتخذها وسيلة لعلاج مشكلاتنا العصرية، ولحماية شبابنا من الانسلاخ والاعتراب لأن المدح يهز الوجدان ويؤثر من حيث لا ندري.

خاتمة

تناولنا في هذا البحث "القيم الدينية والاجتماعية في ديوان الشعر الشعبي الصوفي للمداح علي بن حمية " وقد تطرقنا لتعريف هذا النوع من المديح وهو نوع شعري شعبي ملحون واستخرجنا من هذا الديوان الغني القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتي كانت معظمها متداخلة نظرا لبيئة الشاعر المحافظة، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها:

✓ اهتمام الشاعر الشعبي للقيم الدينية والاجتماعية والمحافظة على مجتمعه من الآفات المختلفة السلبية كما نرى الحال في الشعر الفصيح.

✓ تداخل هذه القيم فيما بينها وبين الدين والمجتمع.

✓ اهتمام الشاعر بطريقته الصوفية وحبها ولشيخه جعله يبدع في اختيار مواضيعه وأشعاره مع أن الشاعر أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

✓ التمسك بالقيم الإسلامية الدينية والروحية وكذا الاجتماعية من أبرز السمات التي وسمت ديوان علي بن حمية.

✓ المكانة العلية للنبي صلى الله عليه وسلم لدى الشاعر الصوفي والجماعة الشعبية الصوفية على حد سواء من خلال الأشعار في مدح النبي والصحابة.

✓ حفاظ الشاعر الشعبي على الموروث الثقافي والبيئة الشعبية والتمسك بها

✓ الشعر الشعبي غني بترائه وثقافته الشعبية.

✓ النصوص الدينية والعادات والأعراف هي المصدر إلي يستمد منها الشاعر الشعبي على توصيل القيم والمبادئ إلى المجتمع وضبطه ضد الانحراف من جانب آخر.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أزلنا الستار عن أدبنا الشعبي المحلي ولو بأقل قليل، وأن نكون قد ساهمنا في وضع قراءات جديدة لهذا الأدب والمحافظة عليه، وإن كنا قد أسأنا أو أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وإن كنا قد أحسنا ووقفنا فمن الله، عليه توكلنا وإليه ننيب.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: الكتب

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1979
- 2- أسامة عبد الرحمان علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال، إتراك للنشر والتوزيع، مصر.
- 3- أكان راضي الحراشنة، الضبط الاجتماعي والانحراف فحص نظرية تشارلز نتل في توازن الضبط، دراسة ميدانية، دار الراية، عمان، 2016
- 4- بوفلجة غياث: القيم الثقافية وفعاليات التنظيمات، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015
- 5- جابر قميحة، مدخل للقيم الإسلامية، دار الكتاب اللبناني للطباعة، لبنان، ط1، 1987.
- الجوهري، الصحاح، تح: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979.
- 6- سعيد قبنة، الخطاب الشعري الشفاهي، البنية والدلالات "أمداح التجانيين أنموذجاً"، مطبعة الأمل المشرق، الجزائر، ط1، 2022
- 7- سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في قصص القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1996.
- 8- عارف عطاري، الإدارة التربوية مقدمات لمنظور إسلامي، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، قطر، ط1، 1439هـ.
- 9- عباس الجراري، مفهوم القيم وفلسفتها وإشكالية الواقع وأمثال في منظور الإسلام، ندوة "أزمة القيم ودور الأسرة ففي تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة 2010، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- 10- عبد الجليل عبد الله صالح، لمحات من الصوفي بأمر عيدان، در الروى للنشر والتوزيع، جامعة الجزيرة، 2019.
- 11- علي عبد الرزاق جليبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، 2003

قائمة المصادر والمراجع

- 12- محمد إسماعيل بلال، السلوك التنظيمي بين النظرية والتطبيق، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2005.
- 13- محمد بن عمارة، الأثر الصوفي في ضوء في الشعر العربي المعاصر، شركة مدارس نشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، 2001.
- 14- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر
- 15- محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، سلسلة كتاب الأمة الدوحة، قطر، 1431هـ.
- 16- محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996
- 17- محمد كامل حنة، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف 119 النيل، القاهرة.
- 18- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009
- 19- نورهان منير حسين فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999.
- 20- يان فانيسيا، المأثورات الثقافية، تر: أحمد علس مرسي، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، 1981.

ثانيا: المخطوطات

- 21- علي بن حمية، الديوان، مخطوط، المكتبة المنزلية للدكتورة أمينة تجاني.
- 22- محمد الغالي نعي، الزاوية التجانية بالمقرن، الوادي، الجزائر (د ت) (د ط)
- 23- محمد النذير التجاني، ماضي حاضر مستقبل، الوادي، 3 جوان 2014

ثالثا: الرسائل الجامعية

- @\$- بولعشار مرسل، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة "ابن الفارض أنموذجا"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد مسعود، جامعة أحمد بن بله، وهران، 2014/2015.

25- سمير العرج، دور التلفزيون في تشكيل القيم الجمالية لدى الشباب الجامعي الجزائري "دراسة ميدانية"، أطروحة دكتوراه، جامعة بن يوسف بن خده، الجزائر.

رابعاً: المجلات والدوريات

26- أحلام عتيق معلى السلمي، مفهوم القيم وأهميتها في العلمية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد الثاني، المجلد الثالث،

يناير 2019

27- أمينة تجاني، الطريقة التجانية "النشأة والخصوصية الأنثروبولوجية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والأنثروبولوجية، جامعة سيدي بلعباس، ع1، جوان 2021

28- خريش عبد القادر، الثقافة التنظيمية في المؤسسة، مجلة دراسات في علم الاجتماع، جامعة لونيبي علي، البليدة، ع2، 2014.

29- عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، مجلة الدوحة، قطر العدد 27، رمضان 1999

خامساً: الندوات والملتقيات العلمية

30- سالم بالهادف، ترجمة الإمام الحاج علي التماسيني، الندوة الجهوية للزوايا والطرق الصوفية، ورقلة، 2004.

31- فايز كمال شلدان، دور الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة في تعزيز القيم الاجتماعية لدى طالباته، مؤتمر "القيم في المجتمع الفلسطيني واقع وتحديات جامعة وسبل تطويره الجامعة الإسلامية نموذجاً".

32- محمود نادية وآخرون، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار النشر للثقافة والعلوم، مركز الحضارة للدراسات السياسية، أعمال الدورة المنهجية في كيفية تفعيل القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية 2010

الفهرس

الفهرس

الرقم	الموضوع
	الشكر والعرفان
أ	مقدمة
	المدخل: تعريفات ومفاهيم
10	الطريقة التجانية
11	تعريفها ومؤسسها
12	أسسها
14	الشاعر؛ حياته
14	ديوانه
15	الشعر الصوفي والشعر الصوفي الشعبي
	الفصل الأول: القيم الدينية في شعر علي بن حمية
21	مفهوم القيم
22	أنواعها
25	أبرز القيم الدينية في الديوان
32	أبرز القيم الروحية في الديوان
	الفصل الثاني: القيم الاجتماعية في شعر علي بن حمية
42	القيم الاجتماعية الإيجابية في الديوان
51	العادات الاجتماعية السلبية في الديوان
58	الخاتمة
60	قائمة المصادر والمراجع
64	الفهرس
	الملخص



ملخص الدراسة باللغة العربية:

يهدف موضوع الدراسة إلى معرفة القيم الدينية والاجتماعية الموجودة في الشعر الشعبي السوفي واخترنا نموذجاً منه للشاعر علي بن حمية

تكمّل أهمية هذه القيم في غرس السلوك والأخلاق في المجتمع وسنحاول من خلال هذا البحث تحديد مفهوم القيم الدينية والاجتماعية وتسلط الضوء على الديوان والشاعر واستخراج أبرز القيم الموجودة فيه وتحليل قصائده وتوصلنا إلى أن الشاعر الشعبي البسيط بشعره قادراً أن يؤثر على مجتمعه ويغرس فيه هذه القيم والمبادئ لكونه مجتمع مسلم محافظ على الشريعة الإسلامية

الكلمات المفتاحية: القيم الدينية-القيم الاجتماعية

Summary :

The subject of the study aims to know the religious and social values that exist in the sofi folk poetry, and we chose a model from it for the poet Ali Bin Homia.

Complements the importance of these values in instilling behavior and morals in society, and we will try through this research to define the concept of religious and social values, shed light on the diwan and the poet, extract the most prominent values in it and analyze his poems. A Muslim society preserving Islamic law

Keywords: religious values - social values